الإسهام الفقهي والصوفي لحاضرة مازونة في بايلك الغرب خلال العهد التركي

أ. محمد الأمين بوحلوفة
جامعة وهران 01

الملخص:

تعتبر الفترة العثمانية في الجزائر من اهم الفترات التي شهدت تطور بعض الحواضر العلمية، ومازونة بإعتبارها عاصمة لبايلك الغرب كان لها المكانة السياسية والعلمية، فنجد العديد من العلماء قد تخرجوا من مدرسة الترك مثل الفقيه المازوني، ومازونة أيضا لعبت دورا محوريا في عملية تحرير المدن الساحلية من الاحتلال الاسباني لأنها كانت قاعدة خلفية تنطلق منها الحملات العسكرية، وحاضرة مازونة كان لها دور سياسي وعلمي وحضاري مهم.

Abstract:

The Ottoman period in Algeria of the most important periods which saw the development of some scientific metropolises, and Mazouna as the capital of Pielke West was her political prestige and scientific, we find many scholars have graduated from quitting school, such as the jurist Almazzoni, and Mazouna also played a pivotal role in the process of editing the coastal cities of the Spanish occupation because it was the background from which the military campaigns, and the capital base Mazouna had a political role, and scientific and military.

تعتبر الفترة العثمانية من بين أزهى العصور التي عرفتها منطقة المغرب الأوسط، الجزائر حاليا اذ كان غزو الاسبان للسواحل شمال افريقيا ملاحقة للموريسكين المهجرين من اسبانيا

نقطة الانعطاف بدخول العثمانيين للمنطقة ودحرهم لتلك الحملات الاسبانية المنظمة، ومنذ تلك الفترة دخلت الجزائر تحت راية الخلافة العثمانية.

عرف اقليم المغرب الأوسط عدة حواضر، ازدهرت فيها اشكال التحضر والتمدن فمن العلوم إلى المعرفة وفنون العمارة واللباس ومختلف جوانب الحياة التي اعطت نموذج المدن الحضارية في ذلك الوقت ولعل من بين تلك الحواضر بجاية وتلمسان وجزائر بني مزغنة اضافة إلى حاضرة مازونة ووهران في العهد العثماني والتي سيكون لها الاثر البالغ في تحريك الحياة العلمية في بايلك الغرب .

انطلاقا من ذلك يمكن الجزم أن مدينة مازونة تعتبر من أبرز وأهم العواصم التي عرفتها الجزائر واشتهرت اشتهارا بالغا خلال الحكم العثماني، حيث برزت هذه الشهرة من خلال ثنائية العلم والعمران وهي من مقومات الحضارة، فخلال العهد العثماني شهدت حاضرة مازونة انتاجا علميا منقطع النظر لعل من ابرزه تأسيس مدرسة مازونة وهي ما يعرف بـ "مدرسة الترك" بالاضافة إلى قائمة طويلة من العلماء ارتبط ظهورهم بوجود مدرسة جامع الترك، وقد سجل لنا التاريخ تضحيات طلبة المدرسة خلال تحرير مدينة وهران من الغزو الاسباني .

رغم كل هذا الا ان تاريخ هذه الحاضرة يبقى مغمورا، فقلة الاقلام التي كتبت حول تاريخ الحاضرة واهميتها ودورها خلال الحكم العثماني تكاد تكون معدودة اذا استثنيا منها جهود ابن المنطقة مولاي بلحميسي، ولهذا اردنا من خلال هذه الورقة تبيان مكانة حاضرة مازونة في بايلك الغرب من خلال اسهامها في نشر العلوم والتصوف، ومن هذا يمكننا أن نؤسس لاشكاليتنا التالية: كيف ساهمت حاضرة مازونة في نشر العلوم والتصوف في بايلك الغرب؟ وهل كان الحكم العثماني يولي أهمية لهذه الحاضرة من خلال دعمها ؟ أين تجلت مساهمة حاضرة مازونة في العلوم الفقهية والتصوف ؟وهل خرّجت نماذجا لعلماء خدموا الفقه ؟ هل ساهمت حاضرة مازونة في الحفاظ على المرجعية المالكية في بايلك الغرب خصوصا والجزائر عموما؟ وأين تجلى ذلك؟ وهل استطاعت الحاضرة أن تكون عاصمة سياسية بعد سقوط

وهران ومعسكر في يد الاسبان ؟ وما الجديد الذي اعطته للوجود العثماني كونها عاصمة لبايلك الغرب؟ كل هذا سنحاول الاجابة عنه وفق المنهجية التالية:

- **المبحث الاول: حاضرة مازونة العثمانية –التعريف –**
- **المبحث الثاني: الأهمية السياسية لحاضرة مازونة خلال العهد العثماني**
- **المبحث الثالث: الحضور العلمي لمازونة في نشرها للعلوم الفقهية في بايلك الغرب**
- **المبحث الرابع: مساهمة مازونة في نشر أسس التصوف في بايلك الغرب**
- **المبحث الخامس: دور حاضرة مازونة في الحفاظ على المرجعية المالكية-العلماء والمؤلفات**

المبحث الاول: حاضرة مازونة العثمانية –التعريف –

شكل بايلك الغرب بحواضره اقليما جغرافيا مهما للمغرب الأوسط (الجزائر)، فقد تعددت تلك الحواضر وساهمت في تمدن الحياة بمختلف نواحيها، فنجد ان تلمسان ووهران ومعسكر ومازونة كلها حواضر كان لها الأثر المهم في عملية التمدن الحضاري، ومازونة تلك المدينة الواقعة في قلب جبال الظهرة[1] كانت مدينة تمكن العثمانيون من جعلها عاصمة بايلك الغرب، وبالرجوع إلى تاريخ المدينة يمكن اعتبارها قديمة النشأة، حيث يشير الباحثون انها مدينة تأسست على انقاض مدينة رومانية كانت مشيدة من قبل، فمارمول الرحالة يذهب إلى هذا الرأي كون المكان احتوى على قطع نقدية وآثار رومانية[2]، وهو ما جاء في وصف افريقيا لليون الافريقي " وهي مدينة أزلية بناها الرومان ....ويشاهد بقرب المدينة أماكن خربة مما كان بناه الرومان، لكن مما يدل على أصلها الروماني العدد الوافر من الكتابات المنقوشة على قطع الرخام..."[3]، ولا يمكن الجزم ان تأسيس المدينة جاء على يد البربر من قبيلة مغراوة، فالمدينة الرومانية يمكن ان تكون مغمورة تحت الأرض نتيجة العوامل الطبيعية وعليها بنيت المدينة الحالية مثلما هي طبيعة الإنسان في كل المناطق، فالباحث فلورنشي نفى امكانية ان تكون المدينة رومانية في الاصل وما البقايا سوى خطوط دفاع نصبت آنذاك[4]، وهناك راي مؤيد كون

المدينة تأسست منذ العهد الروماني فالكاتب اللاتيني بلان Pline الذي عاش في القرن الاول الميلادي اشار إلى وجود قمح الظهرة وانتاج المنطقة للزيت[5].

يذكر الادريسي " مازونة بالمغرب بالقرب من مستغانم، وهي على ستة أميال من البحر، وهي مدينة بين أجبل ولها مزارع وبساتين عامرة ولها يوم يجتمع فيه لسوقها اصناف البربر بضروب من الفواكه والألبان والسمن، والعسل بها كثير وهي من احسن البلاد صفة واكثرها فواكه وخصبا "[6].

يمكن ان نشير ان عبد الرحمن الجيلالي قال ان مدينة مازونة التي بعمالة وهران تأسست سنة 565هـ/1170م على يد بني منديل ابن عبد الرحمن المغرواي اشهر زعماء قبيلة مغراوة، التي هي احدى القبائل البربرية المنحدرة من زناتة وسمين نسبة لاحدى فصائل هاته القبيلة[7]، في حين نجد تعارض مع قول صاحب الترجمانة الكبرى الذي ذهب ان المدينة اسست سنة 160هـ /776م[8] اي بعد سنوات من تأسيس الرستميون لدولتهم في تهرت .

من خلال عرض مختلف الآراء حول تاريخ تأسيس المدينة، يمكن اعتبار حاضرة مازونة مدينة قديمة التأسيس فجذورها تعود للفترة ما قبل الرومانية، وهذا ما قاله الباحث الطاهر جنان" رغم كل هذه الاختلافات، الا انها نتفق في مضمونها على أن المدينة قديمة، ذات جذور قديمة ونحن نرجح ان المنطقة كانت معمورة منذ العهد النوميدي بدليل وجود قبائل بربرية بالمنطقة والتي تذكرها المصادر وهي قبيلة مغراوة والتي كان لها تاريخ طويل مع الدويلات التي قامت بالمغرب الإسلامي "[9].

المبحث الثاني: الأهمية السياسية لحاضرة مازونة خلال العهد العثماني

كان دخول العثمانيين للجزائر نقطة انعطاف في شمال افريقيا، حيث شهدت المنطقة حملات منظمة من طرف التاج الاسباني الرامي للقضاء على نفوذ الأندلسيين في المنطقة وافشال اي محاولة للعودة للأندلس من جديد، ومن جهة تقويض عمل القرصنة البحرية كما يصفها الاسبان، ولهذا نجد ان مجموع الاعيان والوجهاء ومختلف طبقات المجتمع في مدينة الجزائر وعلى رأسهم الثعالبة سارعوا إلى طلب يد العون من السلطان سليم وهذا وفق رسالة

مؤرخة سنة 925هـ/26 اكتوبر 1519م[10] وقد حملها وفد باسم جميع اطياف المدينة وبعدها اصبحت مدينة الجزائر تابعة رسميا إلى الدولة العثمانية . مع بداية سنة 1671م دخلت الجزائر مرحلة جديدة تميزت بتولي طائفة رياس البحر السلطة، وهم ضباط البحر الذين نصبوا نظاما جديدا يتمثل في تعيين حاكم للبلاد يلقب بالداي. وقد التزم الدايات بحفظ الإرتباط مع الدولة العثمانية باعتبارها خلافة إسلامية، لكنهم سلكوا سياسة مستقلة فيما يتعلق بالشؤون الخاصة للبلاد، فالداي هو الذي يعقد الإتفاقيات الدولية ويستقبل البعثات الدبلوماسية (القناصل) ويعلن الحرب ويبرم معاهدات السلام ولما استقر نظام الدايات تكون في مدينة الجزائر ديوان مستقل هو أشبه بمجلس الوزراء، فهناك وكيل الخرج المختص بشؤون البحرية، والبيت مالجي المختص بالشؤون المالية ورئيس أمين مدينة الجزائر وخوجة الخيل الذي كان يشكل حلقة إتصال بين الجزائريين والحكومة.

و قسمت الجزائر من الناحية الإدارية إلى أربعة أقاليم رئيسية هي:

1- دار السلطان: كانت تضم مدينة الجزائر وضواحيها

2- بايلك الغرب: عاصمته مازونة ثم معسكر وأخيرا وهران بعد جلاء الإسبان عنها عام 1792م

3- بايلك التيطري، ضم المناطق الوسطى ومناطق جنوب دار السلطان وكانت عاصمته المدية.

4- بايلك الشرق: يقع من شرقي من دار السلطان وبايلك التيطري كان أكبر المقاطعات والأقاليم، وكانت عاصمته قسنطينة.

كانت هذه المقاطعات مقسمة إلى قيادات وعلى رأس كل منها شيخ قبيلة وكان الجهاز الإداري جهازا لامركزيا حيث أن اية علاقة للحكومة برعاياها كانت علاقة غير مباشرة، تعتمد على استعمال الزعماء المحليين لجمع الشرائب وفرض الأمن يمكن استنتاج أهم الخصائص التي ميزت الدولة الجزائرية أنذاك كمايلي:

1- لم يعد تعيين رجال الحكم قائم على الإنتخاب من طرف ممثلي الشعب فلم يكن النظام السياسي ملكيا وراثيا ولكنه لم يرتق إلى نظام جمهوري[11]

2- حافظ النظام الإداري على التقسيمات القبلية والزعامات المحلية فلم تتبلور الصفة العصرية للدولة[12]

3- لم تختلف وضعية الجزائر كما كانت عليه لقبه العالم الإسلامي ولكنها كانت مختلفة كما كان يحدث والعالم الأوربي الذي تكونت فيه دول ذات حكومات مركزية أخذت تتأهب لفرض سيطرتها على العالم[13].في الفترة التي اعقبت دخول العثمانيين ومحاولة طرد الاسبان من حواضر الجهة الغربية، نجد ان كل من مدينة وهران وتلمسان وعين تموشنت ومعسكر ومستغانم كانت تخضع للإسبان ما أهل حاضرة مازونة للتربع على عرش العاصمة لبايلك الغرب، ومن هنا اكتسبت اهميتها السياسية في هذه الفترة، ومع تتبع المسار الكرونولوجي لتتابع الاحداث التاريخية نجد ان خير الدين دخل مازونة سنة 1536م اين فرض الفريضة ومكن ابنه الحسن من حكم الجهة لغاية 1547م[14]، بعدها يوليه مهام التنظيم الاداري للجزائر سنة 1562م فقسمها إلى اربع عمالات سميت احداها بايلك الغرب وعاصمته مازونة، وكان دورها متمثلا في انها مدينة تنطلق منها الاغارات على مدينة مستغانم ووهران وتنس وعين تموشنت، وبذلك اصبحت مركزا عسكريا بامتياز، ونجدا ايضا تعيين الباي بن خديجة سنة 1563م بايا على مازونة[15]، ثم جاء بعده الصواق ثم بعده الباي السايح المازوني، وقد بقي بايا على بايلك الغرب 11 سنة وفي سنة 1090هـ/1679م تولى الباي شعبان الزناقي تسيير عاصمة بايلك الغرب مازونة حتى سنة 1686م ليعين بعدها مصطفى بوشلاغم* ابن يوسف بن محمد المسراتي بايا على خلفا لشعبان، لتشهد سنة 1701 م تحولا في مركز العاصمة بانتقال العاصمة إلى مدينة معسكر[16] .

المبحث الثالث: الحضور العلمي لمازونة في نشرها للعلوم الفقهية في بايلك الغرب

أ/مدرسة مازونة:

كانت اول مدرسة في مازونة والتي تعد بمثابة معهد[17]، وهي من اشهر المدارس تعليما واقدمها في العهد العثماني، فقد نالت شهرتها بتدريسها مختلف العلوم والمعارف فهي مدرسة متخصصة في تلقين الفقه واصوله والحديث واللغة وغيرها من العلوم الدينية وقد استمدت اصول تدريسها من مدارس الجهة الغربية كتلمسان[18] ويقول ابو القاسم سعد الله " اما مدرسة

مازونة فقد كانت على درجة كبيرة من الأهمية في النواحي الغربية من البلاد وكان لها نظام راسخ وتقاليد متينة استمدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى..."[19]، وهناك اشارة لاحد المؤرخين الأتراك يذكر فيها المدرسة أنها من اقدم المدارس وقد تميزت بتدريس الفقه والحديث وعلم الكلام[20] .

ب/تأسيس المدرسة:

لقد شهدت مازونة قبل تأسيس مدرستها من قبل الشيخ محمد بن شارف المازوني الأندلسي نشاطا علميا لا يقل ضخامة عن ذلك الذي شهدته المدرسة المازونية بداية القرن الحادي عشر ميلادي، يرجع الفضل في ذلك - على ما يذكر الباحث بن صديق محمد صاحب كتاب الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة ومازونة - إلى المدرسة العتيقة التي كانت بالمدينة أو ما يسمى مدرسة أبو ماتع، ولقد شهدت هذه المدرسة الوقفية نشاطا علميا منقطع النظير[21]، ومن أبرز ملامحه: .

بروز العلامة الفقيه أبو عمران موسى المازوني عاش بداية القرن الخامس عشر

- ديباجة الافتخار في ذكر أولياء الله الأخيار.
- حلية المسافر وأدبه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه .
- الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق .

أبو زكريا يحي بن أبي عمران المازوني المتوفي حوالي 883 هـ - 1478 م

ولد ونشأ بمازونة ودرس بها على والده ثم انتقل إلى تلمسان، وأخذ العلم عن ابن مرزوق الحفيد والقاسم العقباني وغيرهما، تولى القضاء بمازونة وكان من أكبر فقهاء عصره، ألف كتابه المشهور - كما ستأتي الإشارة إليه - الدرر المكنونة في نوازل مازونة[22].

أبو عبد الله الثابتي

كان يسميه صاحب البستان يحي بن ادريس المازوني كان يحفظ 27000 حديثا[23].

و غير هؤلاء كثير من العلماء الأعلام منهم من بقي بمازونة، ومنهم سافر إلى تلمسان وغيرها من الحواضر الأخرى ببلاد المغرب الإسلامي[24].

محمد الأمير المازوني:

يقول عنه الباحث - محمد بن صديق -: ((لا ندري إن كان بذاته العلامة الشهير أحمد المغراوي))، فمن فيض علم هذه الشخصية وولايته وصلاحه دان له بمصر كل رئيس ووزير، وكان باشا مصر على ضخامة سلطانه وعلو مكانته يأتيه للتبرك به في العيدين[25].

مدرسة محمد بن شارف المازوني:

كانت المدرسة بداية عهدها عبارة عن مسجد، وكان الشيخ محمد بن شارف الذي يعد احد المهاجرين من الأندلس يدرس فيها، وقد بناها الأخير من ماله الخاص، حيث يذكر يحي بوعزيز في كتابه المساجد العتيقة " ان محمد بن الشارف أسس مدرسته من ماله الخاص وذلك انه باع 30 هكتار من أرضه الخاصة واشترى ببعضها الأرض التي أسس عليها المدرسة[26] وكان تأسيس المدرسة سنة 1029هـ، وبقي الشيخ يلقن الفقه والعلوم الدينية إلى سنة وفاته سنة 1164هـ[27]، وقد اعتبرت مدرسته محط الطلبة وطلاب العلم، وساهمت بشكل عظيم في تعزيز وجود المذهب المالكي .و تكريما لعلمائها الذين ساهموا في الجهاد ضد الإسبان جدّد الأتراك بناءها مرارا وتكرار، ولعل من مشاهير طلبة مدرسة مازونة نجد:

- أبو راس الناصري حيث بلغ عدد أساتذته أكثر من 41 أستاذا جلهم من حاضرة مازونة .
- محم-د بن قندوز المستغانمي خريج مدرسة مازونة ثم الأزهر الشريف وتلميذ الدردير .
- محمد بن علي السنوسي المجاهري صاحب التآلف في تاريخ المغرب والجزائر[28]
- محمد بن عبد المؤمن الرُّماصي الراشدي .
- الشيخ الزناتي المغيلي الإدريسي[29]
- الشيخ سيدي بوعبد الله المغوفل[30]

يصف أبو راس الناصري[31] الذي زار المنطقة ما كان عليه علماء حاضرة مازونة من الاهتمام بالفقه المالكي دراسة وتدريسا قائ-لا: " وجدت أولئك الشيوخ بعضهم مشهور بمعرفة الأولى (أي الجزء الأول من مختصرخليل)، والبعض الآخر مشهور بمعرفة الثاني (أي الجزء الثاني من المختصر) والبعض مقصور على الفرائض لا يتعداها ولا يعرف سواها إلا أن

المقصور عليها هو حجة فيها "[32]، ويقصد أبو راس الناصري كل من الشيوخ: مصطفى بن هني، والشيخ مصطفى بن يونس، والشيخ محمد بن ابراهيم، والشيخ الزناتي .

و يصف كذلك أبو راس الناصري الشيخ ابن علي المغيلي أحد أعلام حاضرة مازونة قائلا: " إنه صاحب الأصول والفروع في فقه مختصر خليل "، ويروي عن الشيخ صادق بن أفغول أنه: " أكثرهم حفظا وأتقنهم للمصنف " .

كما كانت لأحمد بن محمد بن زكري المازوني (899هـ - 1493م) عدة تآليف في مسائل القضاء والفتيا منقولة في معيار الونشريسي[33].

و كان لشيخ الحسن بن محمد بن مصطفى المازوني الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري كتاب تحفة الملوك في حصر أصول الإرث المتروك ومنهاج السلوك في شرح معاني تحفة الملوك أثرى بهما خزانة الفقه المالكي[34]

كما ألف القاضي عبد السلام كتابا رائعا في الفقه والمسائل القضائية التي تتشرف مكتبة مدرسة مازونة (جامع الترك) بحفظه إلى يومنا هذا[35].

و يقول أبو راس الناصري: " سألني الشيخ محمد بن لبنة عن وجهتي، فقلت له: ذاهب إلى مازونة، قال: لم ؟ قلت: لقراءة الفقه، فقال: والقرآن ؟ فقلت له: لا نعرفه بأحكامه وأنصاصه وما يتعلق به، فحفظت في مازونة مختصر خليل، وفهمته معنى ولفظا في عامي الأول، ثم قرأت للطلبة الفرائض " .

المبحث الرابع: مساهمة مازونة في نشر أسس التصوف في بايلك الغرب

يتعبر التصوف الطريق إلى معرفة الله، وهو طريق الحق والهداية والانقطاع لله[36]، وقد شهد التصوف في بلاد المغرب الإسلامي عموما والمغرب الاوسط خصوصا نشاطا كبيرا تمثل في بروز العيدي من العلماء والطرق، ولعل العهد العثماني كان ذروة حضور الطرق الصوفية في الحياة العامة فكانت هي عصب السلطة فيه، ولعل حاضرة مازونة اشتهرت بعديد من المتصوفة الذي دعموا هذا السلوك، يذكر الشيخ محمد بن علي السنوسي في كتابه أسانيد العلوم وأصول الطرائق - صاحب الطريقة السنوسية - أنه أخذ أسانيد الطرائق الصوفية عن

شيخه بدر الدين بن عبد الله المستغانمي عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن الشارف المازوني .

والأكثر من ذلك يتكلم الشيخ السنوسي عن الجانب الصوفي في حياة أبي عبد الله محمد بن علي بن الشارف المازوني فيقول: ((... فكان رضي الله عنه كثير الاجتماع به - يقصد بالنبي صلى الله عليه وسلم - وقد يقع له ذلك في بعض دروسه وتعتريه لذلك أحوال عظيمة وهيبة جسيمة، وغالبا يخبرنا بذلك فيمن حضر ويأمر إذ ذلك بقراءة القرآن أولا ما شاء الله، ثم بقراءة الحديث ما شاء الله بخصوص الصحيحين والموطأ، فإذا انصرف الرسول صلى الله عليه وسلم سرى ورجع لعادته، ومراده بتينك القراءتين والله أعلم أن يكون السماع عليه صلى الله عليه وسلم بلا وساطة، إذا القراءة على الشيخ والسماع منه سواء كما هو مذهب جمهور المحدثين كصاحبي الصحيحينو غيرهما، وكنا نعدُّ ذلك من أجل النعم إذ كان رضي الله عنه يأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا وساطة، ويتحف مريديه بما يمكن منها))[37].

و القول بأن الإمام المازوني كان من الذين تؤخذ عنهم أسانيد الطرائق الصوفية، والقول بأن الإمام المازوني كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دروسه، يدل دلالة قاطعة عن تجذر البعد الصوفي لدى علماء مازونة .

أ/ اهم المتصوفة في حاضرة مازونة:

- **الشيخ محمد بن علي السنوسي** (1787- 1859م): يعتبر من أبرز تلامذة مدرسة مازونة (أخذ العلم على أبي طالب محمد بن علي المازوني، ومحمد بن قندوز المستغانمي) .

درّس بجامع القرويين بفاس / ثم انتقل إلى القاهرة وكاد يقتل هناك على يد أحد علماء الأزهر فيما كتبه عنه الشيخ محمد عبده في مجلة المنار، لما بلغ هذا العالم أن الشيخ السنوسي ألف كتابا في أصول الفقه وزاد فيه بعض المسائل على أصول المالكية، ثم مكة، ثم استقر بجغبوب أين بنى زاويته المشهورة .

من مؤلفاته: (السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين / المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق ....).

الشيخ السنوسي هو صاحب الطريقة السنوسية، هذه الطريقة التي كانت طريقة إصلاحية عملت على توحيد المذاهب وجمع العالم الإسلامي على وحدة حقيقية .

ـ الشيخ سيدي عدة بن غلام الله: انتشرت الطريقة الشاذلية الدرقاوية في الجزائر بفضل الشيخ عدة بن محمد الموسوم ب-ن غلام الله (ت 1866 م) الذي يعتبر من أبرز تلامذة مازونة (الشيخ محمد بوطالب المازوني / محمد بومهدي المازوني / الشيخ التهامي المازوني)، ولا شك أن لعلماء مازونة دور بارز في تأثر الشيخ عدة بن غلام الله بالحياة الصوفية[38].

ب/ التأليف الصوفي في حاضرة مازونة:

يمكن القول ان اهم كتاب ألف في التصوف والاولياء في حاضرة مازونة كان للشيخ لأبي عمران موسى بن عيسى المازوني بعنوان" **ديباجة الافتخار في ذكر أولياء الله الأخيار**" هذا الكتاب الذي لخصه صاحبه تحت عنوان آخر هو: " صلحاء الشلف "، كما ذكر صاحبه في مقدمة كتابه .

و قد بدأ أبو عمران كتابه " صلحاء الشلف " بمقدمة جاء فيها: " ...بعد أن صدّرت هذا بمقدمة جليلة، يستدل بها على ثبوت كرامة الصالحين، والرد على من كره من الزائغين، فإن المعترضين على ذلك بجهلهم وركيك عقولهم، ونقصان فهمهم، كذّبوا بما لم يحيطوا به علماً، فنظروا بمرآتهم الناقصة، وضعّفوا عقول الأولياء فيما يستخرجونه من الحكم النورانية..."[39].

وقام بتقييد تأليفه هذا بمجموعة من الأدلة والبراهين، التي استدل بها في العديد من المواضيع التي تتعلق بالصلحاء والأولياء، مدافعاً بها عن مناقبهم، وما أيدهم الله من الكرامات وإجابة الدعوات، فاستنبط مادة تأليفه هذا من الكتاب والسنة، وأدمج فيه مواعظ وأشعار وآثار وبعض أسرار أهل التصوف، وفي ذلك يقول: "...وأدمجت له عند تقييدي له هذا، مواعظ ذكية وأشعاراً معنوية تُرْفِقُ القلوب وتذري الدموع، وجلبت له شيئاً من العجائب المأثورة عن

القوم، وبعض أسرار أهل التصوف، وأحاديث نبوية، ومجاهدة القوم نفوسهم، وكيفية أحوالهم تفيد بمجموعها رغبة في صحبة الفضلاء ونشاطاً لزيارة الصلحاء والأخوان، وحرصاً في حضور مجالسهم برؤيتهم، والتشبث بخدمتهم..."[40].

وذكر الشيخ أبي عمران تأثره بما كتبه رجالات أهل التصوف حيث ذكر أنه وقع إليه كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، فأولع بمطالعته، وكان **[ورقة52]** يتحامل على نفسه بالعمل بما فيه

المبحث الخامس: دور حاضرة مازونة في الحفاظ على المرجعية المالكية-العلماء والمؤلفات-

لقد ظهرت بحاضرة مازونة عدة تآليف في المذهب المالكي، ألفها علماء مازونة سواء ممن ولدوا بأسوارها، واستقروا بها، أو ممن تتلمذوا على يد علمائها فصح لنا بذلك نسبتهم لمازونة باعتبار فضل المدينة عليهم، ولعل من أبرز هذه التآليف:

- كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة: هو عبارة عن كتاب جمع فيه صاحبه - أبو زكريا المازوني - أجوبة علماء تونس وبجاية والجزائر وتلمسان، ويعتبر الكتاب مصدرا مهما من مصادر المذهب المالكي، اعتمد عليه الإمام الونشريسي في كتابه المعيار المعرب .
- كتاب تحفة الملوك في حصر أصول الإرث المتروك: الشيخ الحسن بن محمد بن مصطفى المازوني الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري .
- كتاب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق: أبي عمران موسى بن عيسى المازوني (والد صاحب الدرر)، وهو كتاب يقع في مجلد واحد تناول فيه أحكام القضاء والتوثيق على مذهب الإما مالك رضي الله عنه[41].
- منهاج السلوك في شرح معاني تحفة الملوك: نفس المؤلف (الشيخ الحسن بن محمد بن مصطفى المازوني)[42] .
- كما ألف القاضي عبد السلام كتابا رائعا في الفقه والمسائل القضائية التي تتشرف مكتبة مدرسة مازونة (جامع الترك) بحفظه إلى يومنا هذا[43]

- و كانت لأحمد بن محمد بن زكري المازوني (899هـ - 1493م) عدة تآليف في مسائل القضاء والفتيا منقولة في معيار الونشريسي.

تدريس المذهب المالكي من قِبل علماء مازونة

لم يهتم علماء مازونة بالتأليف في المذهب المالكي فقط، بل استغرقوا في دراسة وتدريس المذهب المالكي، ويصف أبو راس الناصري الذي زار المنطقة ما كان عليه علماء حاضرة مازونة من الاهتمام بالفقه المالكي دراسة وتدريسا قائلا: " وجدت أولئك الشيوخ بعضهم مشهور بمعرفة الأول (أي الجزء الأول من مختصر خليل)، والبعض الآخر مشهور بمعرفة الثاني (أي الجزء الثاني من المختصر) والبعض مقصور على الفرائض لا يتعداها ولا يعرف سواها إلا أن المقصور عليها هو حجة فيها "، ويقصد أبو راس الناصري كل من الشيوخ: مصطفى بن هني، والشيخ مصطفى بن يونس، والشيخ محمد بن ابراهيم، والشيخ الزناتي .

و يصف كذلك أبو راس الناصري الشيخ ابن علي المغيلي أحد أعلام حاضرة مازونة قائلا: " إنه صاحب الأصول والفروع في فقه مختصر خليل "، ويروي عن الشيخ صادق بن أفغول أنه: " أكثرهم حفظا وأتقنهم للمصنف "[44]

و لعل من أشهر علماء مازونة الذي تولى تدريس الفقه المالكي الشيخ ابو طالب محمد بن علي المازوني فهو الوريث الشرعي لمدرسة مازونة التي ورثها أبا عن جد، فانتصب فيها للتدريس مبكرا، وكانت له حلقة علمية متميزة حافلة بالطلبة، إذ كان يدرس محتصر خليل وشرح الخرشي والزرقاني، وعرف بطريقته المتيزة والمنفردة في التدريس عامة وتدريس الفقه المالكي خاصة، حتى تعجب ابو راس الناصري من حلقة شيخه ابو طالب المازوني، ومن كثرة تلاميذه ومن شعبيته وحب الناس له .

خاتمة:

يعتبر العهد العثماني في الجزائر نقطة تحول، اذ عرفت فيه المنطقة ككل نقلة حضارية ساهمت بشكل كبير في اعادة بناء الهوية الجزائرية وربطها من جديد بالهوية الإسلامية في ظرف

كانت المنطقة معرضة للغزو الاسباني، ومن خلال هاته الورقة البحثية يمكننا الخروج ببعض النتائج نذكر منها:

- ساهمت حاضرة مازونة في ان تكون عاصمة سياسية لبايلك الغرب في ظل احتلال ابرز مدن الغرب كوهران وتلمسان ومعسكر
- كانت حاضرة مازونة قاعدة عكسرية لبايلك الغرب اين انطلقت منها حملات التحرير لكل من مدينة وهران ومعسكر
- ساهمت حاضرة مازونة في ان تكون قلب العلوم الفقهية في ان أنشأت بها اول مدرسة فقهية عنيت بتدريس العلوم الفقهية
- اعتبر التصوف في مازونة ارثا علميا ودينيا ساهم في الحفاظ على مكونات وخصائص بايلك الغرب الذي تميز بكثرة العلماء والاولياء والطرق الصوفية التي ساهمت في تمسك افراد المجتمع بدينهم وعقيدتهم وكانت القوة التي ضربت الاستعمار الفرنسي في السنوات اللاحقة .
- خرجت حاضرة مازونة العديد من العلماء الذي ساهموا في تطوير الفقه المالكي بتصانيفهم العديدة وبذلك حافظوا على المرجعية المالكية في الجزائر
- استطاع العثمانيون ان يجعلوا من مازونة منارة العلم والسياسية والحضارة في وقت كانت الحواضر التي سيطر عليها الاسبان تعيش اسوأ أيامها .

لا يمكن ان ننكر الأدوار المختلفة التي لعبتها حاضرة مازونة، والذي انعكس بالايجاب على بايلك الغرب خصوصا والجزائر عموما، ولكن في عصرنا الحالي اصبحت المدينة تعيش على انقاض الماضي، حيث لم تعد تلك المدينة التي كانت في ما مضى عاصمة لبايلك الغرب، وانما بقيت تعاني التهميش والنسيان في ظل سياسة طمس تاريخ الحواضر الإسلامية خلال العهد العثماني. .

المصادر والمراجع:

1- الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة ومازونة، بن صديق محمد، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، وهران، 2009م

2- الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ماحي قندوز، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، الجزائر، 1433هـ/2012م، ط01، ج01
3- الدرر المكنونة في نوازل مازونة، اسماعيل بركات، ماجستير، جامعة قسنطينة، 2010/2009م
4- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، اكمال الدين اوغلي، تعريب صالح السعداوي، مركز البحوث للتاريخ والحضارة والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1999م
5- الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره، عبد القادر فكاير، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2012م
6- تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر ج02
7- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني 1707م /1827م، محمد مكيحلي، جامعة سيدي بلعباس
8- البستان، ابو عبد الله ابن مريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م
9- المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، يحي بو عزيز، منشورات anep، الجزائر، ط01، 2002م
10- تاريخ الجزائر الثقافي، ابو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ج01
11- تجليات البعد الصوفي في حاضرة مازونة، سفيان شبيرة، اعمال الملتقى الدولي المشيخة واصول التصوف، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، غليزان، 02 و03 جوان 2015
12- حاضرة مازونة ودورها في خدمة المذهب المالكي، سفيان شبيرة، اعمال الملتقى الدولي حول المرجعية الفقهية والعقدية في الجزائر، جامعة الامير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2014 م
13- حاضرة مازونة خلال الحكم العثماني، سفيان شبيرة، أشغال الملتقى الدولي العلاقات الجزائرية التركية، جامعة بسكرة، 18 و19 فيفري 2014م
14- حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، دار المقطم، جمهورية مصر، 2005م/1426هـ
15- دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية في القرن 15 إلى منتصف القرن 20 مولاي بلحميسي
16- فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، أبو راس الناصري، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990
17- مازونة عاصمة الظهرة، الطاهر جنان، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 - 1426 هـ، 2005م
18- مدرسة مازونة دراسة تاريخية ووثائقية خلال القرن 18م/12هـ، بلعربي خيرة، مذكرة ليسانس، جامعة وهران، 2010/2009م
19- مدينة وهران عبر التاريخ، يحي بوعزيز دار الغرب للنشر والتوزيع وهران، ط02، 2002م
20- مستقبل الديموقراطية في الجزائر، قيرة اسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان

21- مكانة سيدي بو عبد الله في منطقة وادي رهيو، تاريخ منطقة وادي رهيو، محمد الامين بوحلوفة، دار كفاية، الجزائر، ط01، 2015م

22- صلحاء شلف، موسى المازوني، مخطوط

23- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الادريسي، مكتبة الثقافة الدينية، 2006م، القاهرة

24- وصف افريقيا، الحسن الوزان،، ترجمة محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج02

25- مقدمة الملتقى الوطني دور الشيخ عدة بن غلام الله في نشر الحكمة الصوفية وممارسة القضاء، بوعبد الله غلام الله، وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، الجزائر، 2011م

26- Moulay BELHAMISSI, Mazouna: Une petite ville une longue histoire, Socètè Nationale D'Edition et de diffusion, Alger, 1981

27- MARMOL CARVJAL, Description général de Africa, Paris, 1967

28- Sari Djilali .les villes prècolorides de l'Algérie société national de édition et diffusion Alger 1970 .

الهوامش:

1 Moulay BELHAMISSI, Mazouna: Une petite ville une longue histoire, Socètè Nationale D'Edition et de diffusion, Alger, 1981 / 13.

2 MARMOL CARVJAL, Description général de Africa, Paris, 1967 / 254

3 الحسن الوزان، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج02، ص 36

4 Molay Belhemissi. P28

5 الطاهر جنان: مازونة عاصمة الظهرة، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 . 1426 هـ، 2005 م، ص09و 10

6 الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، 2006م، القاهرة، ص 521، ص 522

7 ماحي قندوز، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، الجزائر، 1433هـ/2012م، ط01، ج01، ص 32

8 سفيان شبيرة، حاضرة مازونة خلال الحكم العثماني، أشغال الملتقى الدولي العلاقات الجزائرية التركية، جامعة بسكرة، 18 و19 فيفري 2014م، ص 421

9 عبد الرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر ج02، ص 17

10 عبد القادر فكاير، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2012م، ص 90

11 محمد مكيحلي، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني 1707م /1827م، جامعة سيدي بلعباس، ص 03

12 قيرة اسماعيل، مستقبل الديموقراطية في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ص 98

13 محمد مكيحلي، مرجع سابق، ص 04

14 اسماعيل بركات، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ماجستير، جامعة قسنطينة، 2010/2009م، ص 125

15 بن صديق محمد، الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة ومازونة، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، وهران، 2009م، ص 111و ص 112

* الباي مصطفى بن يوسف المسراتي بوشلاغم، باي بايلك الغرب اول حاكم جمع بين سلطتين مازونة وتلمسان، ووحدها تحت سلطته ونقل العاصمة من مازونة إلى قلعة بني راشد ثم معسكر، وكان له فضل كبير في تحرير مدينة وهران والمرسى الكبير، انظر/يحي بوعزيز مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران، ط02، 2002م، ص 95

16 سفيان شبيرة، حاضرة مازونة خلال الحكم العثماني، مرجع سابق، ص 424

17 Sari Djilali .les villes prècolorides de l'Algérie société national de édition et diffusion Alger 1970.p02

18 بلعربي خيرة، مدرسة مازونة دراسة تاريخية ووثائقية خلال القرن 18م/12هـ، ليسانس، جامعة وهران، 2009/ 2010م، ص 02

19 ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ج01، ص 285

20 اكمال الدين اوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تعريب صالح السعداوي، مركز البحوث للتاريخ والحضارة والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1999م، ص 330

21 محمد صديق، الابواب المأذونة، مرجع سابق، ص 93

22 الطاهر جنان، مازونة عاصمة الظهرة، مرجع سابق، ص 43

23 ابو عبد الله ابن مريم، البستان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص43

24 الطاهر جنان، مرجع سابق، ص 38

25 محمد بن صديق، الابواب المأذونة، مرجع سابق، ص 94

26 يحي بو عزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، منشورات anep، الجزائر، ط01، 2002م، ص 201

27 بلعربي خيرة، مدرسة مازونة، مرجع سابق، ص 04

28 مولاي بلحميسي، دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية في القرن 15 إلى منتصف القرن 20، ص 93

29 بن صديق محمد، الابواب المأذونة، مرجع سابق، ص 103

30 هو ابو عبد الله الملقب بالمغوفل (1023هـ) احد اولياء حوض شلف، ينحدر نسبه من عبد السلام بن مشيش وهو من الاشراف الذي سكنوا المنطقة، كان مقيما عند قبيلة بني تغرين البربرية في الونشريس ثم نزح إلى بطحاء شلف اين تصوف وقد اصبح مزارا يتبرك به، له قصيدة مشهور "الفلك الكواكبي" يذكر فيها اولياء وصلحاء شلف، كانت تربطه علاقة جيدة مع السلطة العثمانية، فقد رافق ابناؤه احدى الحملات العثمانية، انظر/ محمد الامين بوحلوفة، مكانة سيدي بو عبد الله في منطقة وادي رهيو، تاريخ منطقة وادي رهيو، دار كفاية، الجزائر، ط01، 2015م، ص 117

31 هو محمد أبو راس ناصر المعسكري ولد سنة 1150هـ بنواحي معسكر، أخذ عن والده بمسقط رأسه، ثمهاجر إلى مازونة، وترك ثروة علمية فقهية وعلمية كبيرة جدا، تتيف عن 136 مخطوطا

32 أبو راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 43

33 الطاهر جنان، مرجع سابق، ص49

34 المرجع نفسه، ص 43

35 بن صديق محمد، الابواب المأذونة، مرجع سابق، ص 106

36 عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، دار المقطم، جمهورية مصر، 2005م/1426هـ، ص 29

37 سفيان شبيرة، تجليات البعد الصوفي في حاضرة مازونة، اعمال الملتقى الدولي المشيخة واصول التصوف، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، غليزان، 02 و03 جوان 2015، ص 03

38 بوعبد الله غلام الله، مقدمة الملتقى الوطني دور الشيخ عدة بن غلام الله في نشر الحكمة الصوفية وممارسة القضاء، وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، الجزائر، 2011م، ص 05

39 موسى المازوني، صلحاء شلف، مخطوط، ورقة رقم 03، ورقة رقم 04

40 المصدر نفسه، ورقة 04

41 سفيان شبيرة، حاضرة مازونة ودورها في خدمة المذهب المالكي، اعمال الملتقى الدولي حول المرجعية الفقهية والعقدية في الجزائر، جامعة الامير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2014 م، ص 07

42 بن صديق محمد، الابواب المأذونة، مرجع سابق، ص 106

43 الطاهر جنان، مرجع سابق، ص 49

44 أبو راس الناصري، فتح الإله، مصدر سابق، ص 10